# الفصل الثاني عشر

# حضارة العرب أرقي من حضارة اليهود

## لا تراث حضاري لليهود :

قبل ظهور اليهودية ، كانت الفوضى الدينية تغمر العالم القـديم ثـم ظهرت اليهودية في أطراف آسيا الغربية ، تحاول نشر نفوذها وتعاليمها في الشرقين الأدنى والوسط أي في جزيرة العرب والهند والـصين ، ثـم فـي أوروبا ولكنها فشلت من أول الطريـق ، لأن الإسـرائيليين الـذين قـاموا يبشرون باليهودية كانوا عبارة عن جمهرة من البشر تعيش عيـشة البـداوة والانحطاط، ليست لهم حضارة تطبع دعوتهم الدينية بطابع يجمع بين الدين والدنيا ، أو بين العبادة والعلم والشئون الروحانية ، ومتطلبـات الحـضارة كالرفاهية والثورة والتنظيم والعمران ؛ بينما كانت الحضارات في كل مـن إيران والهند والصين فضلاً عن الحضارة الرومانية الأوروبية نالت نصيبًا كبيرًا من التقدم والتكامل .. ومن البديهي أن طلب الانـصياع مـن قـوم متحضرين إلى قبول دعوة قوم يعيشون في عالم من الجهل والبداوة مهمـا كانت دعوتهم هذه منصرفة إلى أغراض دينية سماوية لا تلقي طبعًا غيـر الإعراض والسخرية.

ومن البديهي أيضًا ، أن تقابل تلك الرسالة يحملها ذلك الإسـرائيلي الذي على جانب ضئيل من الحضارة بمثل هذا الإعـراض مـن الهنـدي والصيني والإيراني والروماني ، الذين كانوا يرون أنفـسهم أعظـم رقيًـا وحضارة وثقافة ونظامًا ، ولا ينقصهم في نفس الوقت دين يلجـأون إلـى

عبادته فلديهم آلهة كثيرة يعبدون من يشاءون منها ، ولا يرون في أنفسهم حاجة إلى تبديلها طالما أنها تغمرهم بكل ما ترنو إليه ميولهم الزمنية والدنيوية من شهوات وآمال ومتممات لحياتهم الحافلة بالحضارة.

ليس لليهود فلسفة نظرية أو عملية أو آثار فنية ، وكل ما في الأمر ، أنهم خصصوا أنفسهم للعبادة القائمة على المتاجرة والانتفاع ، فلا يوجد بينهم ، ولاسيما قديمًا من كرس نفسه للفن والعلم والفلسفة وإذا كنا لا نجد عند اليهود ثقافات أدبية وفنية أو ثقافات فلسفية وأخلاقية يفيدون به العالم . فهم في أدوار حياتهم الثلاثة ، دور البداوة ودور المملكة ودور التشتت في العالم – لم يصدروا من عندهم ثمرة نافعة من ثمرات الآداب والفنون أو ثمرات العلم والفلسفة وكل محصولهم من الكتب المقروءة فإنما هو تلك المواعظ والترانيم التي وقفوها على أنفسهم، ولم ينبغ منهم مشتغل بالحكم والدراسة العملية قبل اتصالهم بأمر الحضارة واضطرارهم إلى المعيشة بين تلك الأمم في المشرق والمغرب[٢٨٤].

## عقلية اليهود :

كانت أهم مظاهر الحياة اليهودية في خلال القرون الطويلة الماضية هو الميل إلى العزلة والاعتقاد بأن اليهود يحمل من أسرار الكون أكثر من أي إنسان آخر وكان اليهود إذا نزلوا مكاناً رفضوا الاختلاط بأهليه واختاروا لهم فيه زاوية بعيدة عن الأنظار وأقاموا فيها مساكنهم ، وقد عرفت أحياء اليهود في أوروبا باسم " جيبتو " وفي هذه الأحياء اليهودية نشأ المجتمع اليهودي بأسراه وحفاياه ، وفي هذه الأحياء وصفت الكتب اليهودية السرية

---

[٢٨٤]) العقاد : الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين ص ٦٨.

التي لا يعرف العالم عنها إلا القليل ، وفي هذه الأحياء نمت علوم الـسحر والشعوذة وبقية العلوم السرية.

إن هذه العزلة التي عاش فيها اليهود كانت سببًا في محافظته علـى مستوى الذكاء والدهاء ومحاولة اختراق الحجب والأسرار ، وقد نشأت فـي هذه الأحياء اليهودية جماعات سرية صغيرة من المفكرين والعلماء مالوا إلى الكتاب والتأليف. وكانت القواعد الرئيسية التي تسيطر علـى عقـول هـذه الجماعات هي :

١) المحافظة على النفسية اليهودية ومنعها من الضياع في تيار الغربة.

٢) نشر الحقد في قلوب اليهود ضد العالم ونشر فكرة احتقار اليهـودي لغيره من الشعوب.

٣) العمل على أن يسترد الشعب اليهودي مكانه.

٤) العمل من أجل سيادة الشعب اليهودي للعالم كله.

وقد قامت هذه الجماعات اليهودية بوضع عشرات من الكتب السرية الخطيرة التي تطرق هذه المواضيع وتدفع اليهودي إلى التمسك بها ، وأصبح اليهودي لا يهتم بالثورات قدر اهتمامه بهذه الكتب ويعتبر أن هـذه الكتـب تفسخ الثورات وتحل محلها.

وكل من يطلع على ما ورد في هذه الكتب السرية يـشعر بالتـأثير الذي أحدثته في عقلية اليهودي على مر السنين ، ويشعر بأن العقلية اليهودية تختلف في تفكيرها واتجاهاتها عن عقلية البشر جميعًا وأن هذا الاتجاه قـد

أحدث تأثيره في تاريخ العالم كله ، وحاول أن يفرض طابعه على البـشرية جمعاء ، لكي يضعها تحت طاعة حكماء اليهود . فإن السحر بجميع أسراره وأنواعه جاء من العقلية اليهودية والإيمان بالأشباح ونقل الأرواح جاء مـن هذه العقلية ، والعرافة والتدجيل والتكهن بالمستقبل وقراءة الكف والنجـوم والطوالع كل ذلك جاء من العقلية اليهودية.

هذا النشاط الفكري اليهودي لم تكن غايته خدمة البشرية والإنسانية بل كانت هذه السيطرة على البشرية بأساليب شيطانية غريبة لأغراض أهمها نشر البلبلة في عقول الناس وتفريق صـفوفهم ودفعهـم نحـو الانحطـاط والفجور.

وقد أدى هذا النشاط والاجتهاد إلى تأليف جمعيات سـرية منظمـة تنظيمًا دينيًا غريبًا ، وتنشر في جميع أنحاء العالم – ومازالت هذه الجمعيات قائمة حتى الآن ، وقد أصبح بعضها صهيونيًا ، وما زال الـبعض الأخـر يهوديًا متدينًا.

## ثقافة اليهود محدودة :

إن الصهيونيين مكروهون في كل مكان وفي كل زمان وهم يعرفون ذلك ولكنهم لا يعترفون به لمجرد الاعتراف بالواقع الظاهر المتواتر ، بـل يعترفون به لأنهم ينتفعون منه ، ولأن دعواهم كلها قائمة على شكوى الظلم والاضطهاد وعلى الحاجة الملحة إلى الإنصاف على أنهم يسلمون أن العلـة منهم ، ولكنها علة تشرفهم. والعلة في زعمهم أنهم قوم محسودون ، لأنهـم قوم ممتازون بالنبوغ والنجاح ، وأنهم أصحاب كفايات لم تجتمع لغيرهم من

الأمم. منهم ناجحون في ميادين الأعمال نـاجحون فـي ميـادين العلـوم والفنون ، وخليق بهذه الكفايات النادرة والنجاح الملحوظ أن يجلب الحـسد والكراهية ، لغير ذنب جنوه وهكذا هو الزعم الباطل بحذافيره[٢٨٥].

لم يحدث أن اليهود أنشئوا لهم ثقافة مستقلة قط في زمن من الأزمان وإنما يستفيد اليهودي الألماني من ثقافة ألمانيا ويستفيد الصهيوني الإنجليزي من ثقافة إنجلترا ويستفيد اليهودي الأمريكي من ثقافة أمريكا. ويقال مثل ذلك في اليهود في إيطاليا وسويسرا وهولندا وبلجيكا ، فهم يستفيدون من ثقافات هذه الأمم.

أن المقياس الصحيح لنبوغ اليهود في العلوم والفنون هو تـاريخهم القديم وقد كانت في الإسكندرية مكتبة جمعت مئات الألوف من المجلدات في الطب والفلك والجغرافية والحكمة والرياضة وسائر العلوم ، وكانـت هـذه المكتبة الجامعة التي احترقت في بعض الحروب عنواناً لثقافة الأمم القديمة من يونان ورومان وبابليين ومصريين ، وكانت منها محفوظات من تـأليف هذه الأمم ومقتبساتها ، فكم كتاب كانت من تأليف اليهود القدماء ؟ كم أثـرًا من آثارهم في علوم الفلك أو الجغرافية أو الهندسة أو الطب أو الفلسفة ، أو غيرها من ثمرات العقول الإنسانية ؟

والإجابة على هذا السؤال : لا شيء ، لا كتاب ، ولا أثر ، ولا ثمرة وهذا هو المقياس الصحيح المعقول.

وكان أذكياء الأمم يعيرونهم بها ويسألونهم عنها ، كما فعل ( ابيان ) حيث وجه السؤال بصددها إلى المؤرخ اليهودي ( يوسفيوس ) فبماذا أجابه يوسفيوس ؟ أنه لم ينكر السبة لأنه لا سبيل للإنكار ، وإنما اعتـرف بهـا

---

[٢٨٥]) العقاد : الصهيونية العالمية ص ٥٠ .

واعتذر عنها كما قال بحروفل : " أننا نسكن بلدًا بعيدًا من البحر ولا نتصل بالمعاملات ، وليست بيننا وبين الأمم مواصلات فهل من العجب أن أمة كهذه الأمة على بعدها من البحر قبل اشتغالها بالكتابة – تظل مجهولة بين غيرها ؟ ".

وقد أورد ( فولتير ) هذه العبارة ، فعلق عليها قائلا ، على فرض أن كتب العهد القديم تعد من كتب اليهود : ( لابد أن نلاحظ أن اثنين وعشرين كتابًا صغيرًا ليست بالعدد الكبير إذا نظرنا إلى أرقام الكتب التي كانت محفوظة في مكتبة الإسكندرية ، ولا شك أن اليهود قد كتبوا قليلاً وقرأوا قليلاً وأنهم كانوا على جهل مطبق في علوم الهيئة والرياضة والجغرافية والطبيعيات وأنهم لم يفقهوا شيئًا من تواريخ الأمم الأخرى ، ولم يبدأوا بالتعليم في الإسكندرية حيث أخذوا يهتمون بتحصيل بعض المعارف وما كانت لغتهم إلا خليطًا بربريًا من الفينيقية والكدانية المحرفة ، ناقصة في تصرفات الأفعال فقيرة في أدوات التعبير ، وهم عدا هذا لا يظهرون الغرباء على كتبهم ولا على عناوينها.

تلك حقيقة الدعوى التي يروجها اليهود عن النبوغ المحسود ، وعن الكراهية التي يغيرها في النفوس امتيازهم في الكفايات والممتلكات ، فهم في الثقافة عالة على كل أمة يستمدون منها التعليم ، وهم في ميادين العمل دون غيرهم من الأمم.

## هل نجح اليهود في ميادين الاقتصاد ؟

هناك خطة يهودية صهيونية للسيطرة على العالم ، لا بالقوة العسكرية ولا بالسيطرة الحكومية ولا بالتسلط الاقتصادي القائم على التقدم

العلمي ولكن بشيء واحد هو امتلاك زمام التجارة العالمية والـتحكم فيهـا وأقدر الناس على هذا هم اليهود.

إن ظهور اليهود في ميادين المال والتجارة وقوة نفوذهم السياسي في الوقت الحاضر إنما يرجع إلى صفات متأصلة فيهم ، وهي الوحدة والقـدرة على انتهاز الفرص المواتية واليهودي يعرف ماذا يعرف ماذا يفعل ، ومتى وكيف ولماذا هو فاعله ؟.

ومما يذكر أن اليهود أينما أقاموا تركزت الأعمال حيـث أقـاموا ، ولكما رحلوا انتقلت مراكزهم معهم حيثما حلوا والدليل على ذلك أن أسبانيا كانت مركز الذهب في العالم طالما كان اليهود هناك، ولمـا طـردوا مـن أسبانيا خسرت البلاد بفقدهم ما كان لها من مكانة في هذا الشأن. وشبيه بهذا انتقال مركز التجارة إلى أوروبا من الجنوب إلى الشمال، لما غادر اليهـود إيطاليا وأسبانيا والبرتغال، ونزلوا هولندا وألمانيا وإنجلترا فالاقتـصاد هـو أساس كيان العالم ، ومن يملك زمام الاقتصاد ملك زمام الموقف فـي هـذا العالم.

ومن جهة أخرى ، أثبت اليهود أنهم لا يـصلحون للزراعـة. فقـد ظهرت بشرق أوروبا في مستهل القرن ١٩ حركة زراعية يهودية ، ولكـن لم يبد نشاطها على أشده إلا في الثلث الأخير من هذا القرن. وكان الغرض منها هو توجيه اليهودية إلى ناحية الزراعة ، فأنشئت لهم مستعمرات فـي الأرجنتين وفي أوكرانيا وغيرهما، ولكن هذه المحاولات لـم تعـد بنتـائج مبشرة لأن اليهود أنفسهم لا يعملون لحياة الزراعة[٢٨٦].

---

[٢٨٦]) جوزيف هيلر : الفكر الصهيونية ص ١٧.

## الثقافة العربية أرقى من الثقافة العبرية :

الثقافة العربية هي ثقافة الأمة التي نشأت تتكلم اللغة العربية وعاشت تتكلمها كما كانت على الألسنة في كل دور من أدوارها على سنة التطور في جميع اللغات.

عاشت العرب طوال حياتهم على مر العصور على اتصال مباشـــر بإخوانهم في البشرية في شتى أنحاء العالم ، وساهموا بنصيب كبيـــر فـــي تطور الحضارة والمدنية في شتى ميادينها وعلى اختلاف ألوانها ، وحاولوا دائما أن يتطوروا من حسن إلى أحسن ، فكان للعرب دائمًا رسالة عالميـــة إنسانية.

إنه لمن فضول القول أن يقال عن ثقافة اليهود الدينية المحصورة في هذا الحيز المحدود إنها رسالة عالمية. أو أنها يمكن أن تسفر قبل زوالها عن رسالة عالمية.

لكن الأمر يتجاوز فضول القول إلى فقد الحياة حسب ما يقـــال : أن العبرية هي التي نهضت بأمانة الرسالة العالمية في تاريخ بنـــي الإنـــسان ، وأن تنعقد المقارنة بينها وبين حضارات الشرق في وادي النيل وفـــي وادي النهرين وفي شبه الجزيرة العربية ، فيقال أن تلك الحضارات جميعًا لم تحفل بمبادئ الأخلاق ولم تقرر قواعد العدل والفضيلة ، وأن أربابها لا تغـــضب للواجب والحق كما غضب لهما رب العبريين : رب الصواعق والجنود.

# الحضارة والثقافة في إسرائيل :

في إسرائيل ألوان كثيرة متباينة من الحضارة والثقافة نتيجة لتبـاين الأصناف والأديان فهناك : اليونان الأرثـوذكس والأقبـاط الأرثـوذكس ، والأقباط الكاثوليك ، واليونان الكاثوليـك والبروتـستانت والأوروبيـون ، والنسطريون ، والدروز إلى جانب اليهود والمسلمين.

وتنشر بينهم جميعًا عدة لغات : الألمانية والإنجليزية والفرنـسية ، والروسية والبولندية ، واللغات السلافية ، وكذلك العربيـة ، والأراميـة ، واللغة الأولى بطبيعة الحال هي اللغة العبرية.

ينقسم السكان إلى فريقين يتقاربان عددًا : أحدهما يهود نزحوا مـن أوروبا وهؤلاء هم الذين يسيطرون على الميـادين الثقافيـة والاجتماعيـة والاقتصادية والفريق الثاني من أصل شرقي يهودًا كانوا أو غيـر يهـود ، وهؤلاء متأخرون متقاربون في حظوظهم الضئيلة بجانب غيرهم الذين مـن أصل عربي.

إن العادة جرت في إسرائيل على المناداة بإعادة تهذيب وتثقيف يهود الشرق، ويجب أن يعاد تشكيل تفكيرهم وشخصيهتم بحيث يصبحون نـسخة من يهود أوروبا ، وأنه يحن لا ينفع الإغراء والترغيب في الوصول إلـى تلك النتيجة يجب أن يأخذ التشريع مجراه.

وهذا الرأي يشبه رأي الأوروبيين في القرن ١٩ في شعوب الـبلاد التي كانوا يخضعونها لسلطانهم.

في أوائل شهر أغسطس سنة ١٩٥٧ عقدت في إسرائيل حلقة علمية خطيرة ، اشترك فيها عدد كبير من مفكري اليهود وزعمائهم وعلمائهم فـي أنحاء العالم. وكان القصد من عقود هذه الحلقة هو القيام بدراسات اجتماعية

لمعرفة أسباب التدهور الثقافي والاجتماعي الذي أصاب يهود إسرائيل وبقية يهود العالم وأسباب تدهور العلاقات الاجتماعية بين يهود إســرائيل وبقيــة يهود العالم وأسباب فشل الأيدولوجيا الصهيونية في جلب يهود العالم نحــو إسرائيل لكي يعتبروها دولتهم ويهاجروا إليها.

وقد تعلم في هذه الحلقة ٧٢ مفكرًا يهوديًا ، وعلى رأسهم ( دافيد بن جوريون ) رئيس حكومة إسرائيل والدكتور ( ناحوم جولــدمان ) رئــيس الجمعية الصهيونية العالمية ، و ( عيما نويل نيــومن ) رئــيس الجمعيــة الصهيونية لنشر المعرفة اليهودية.

وقد اتفق الجميع على أن المجتمع اليهودي مريض وأن هذا المرض منتشر بين جميع اليهود في إسرائيل والخارج ، وأن هذا المجتمع لم يستطع أن يغسل نفسه من أدران الماضي وفشل في تكوين بيئة اجتماعية مــستقلة وأن هذا المجتمع اليهودي يشبه برج بابل ليس له طابع خاص.

وقد اختلف أعضاء الحلقة في تعيين أسباب هذا الفشل : فقال بعضهم أن السبب في ذلك هو الدين اليهودي وتعاليم التوراة والتلمود . فــإن هــذه التعاليم الدينية تحتوي على قواعد اجتماعية ذات طابع وحشي غير إنــساني فهي تدعو اليهودي إلى قتل غير اليهود وسلب ممتلكاتهم وتدعوه إلى قتــل الأسرى والاعتداء على النساء والأطفال وتدعوه إلى الهدم والتخريب وإلــى استعمال القسوة والشراسة.

ولكن بعض هؤلاء العلماء يقولون أن السبب الرئيــسي فــي نقمــة اليهودي على العالم هو العزلة النفسية التي عاش فيها عبر القرون ، وهــي التي خلقت لديه عقلية قاسية تميل إلى الشر والهدم ، وسفك الدماء.

******